بلاغة وصف العيون
في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة

م.م. احمد جواد كاظم

ملخص البحث :

ويبقى القول ان لذكر العيون في الشعر العربي بحر واسع ومهما حاولنا خوض غماره نجده قد زخر بمعانيه اكثرواكثر، اذ ان وصف العيون كانت اداة الشاعر الاندلسي الشعرية كالطبيعة، فكل شيء لديه عين، يستعير لها اوصافا ويكني ويلغز بها، فكانت جولتنا هذه عند اهم الاوصاف الخاصة بالعين، او اعارتها استعارات وتشبيهات مختلفة.

نرجو ان نكون قد وفقنا في دراستنا لأوصاف العين في الشعر بألوانها وسهدها ودموعها مع وقفة طويلة عند معان مختلفة للعين كان للشعراء ذكر كثير لها لأنها اداتهم الطيعة ووسيلتهم في كل قول او غرض من غزل ومدح وشكوى وغيرها.

The eloquence of the eyes in Andalusian poetry from conquest until the fall of the Caliphate

The mention of the eyes in the poetry of a vast sea and no matter how we tried to fight, we find it is full of more and more mysteries As the description of the eyes was the tool of the Andalusian poet poetry as nature Everything has an eye borrow a description of it was this was our tour when the most important descriptions of the eye or loan borrowed and different similes .

We hope that we have been in our study of the descriptions of the eye in the hair and colors and the presence of her tears with a long pause at different meanings of the eye had many male poets have their hands and their tools in every statement or purpose of yarn and praise and complaint and others .

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله واصحابه ومن دعا بدعوتهم الى يوم الجمع والدين .

وأما بعد :

فقد برع شعراء الأندلس في شتى فنون الشعر العربي ، متخذين خطى المشارقة في النظم سبيلا لهم ، لكنهم حين وصلوا الى التمكن في القول ابدعوا وجددوا في اغراضهم الشعرية ووسعوا القول فيها ومن هذه الأغراض الوصف بنوعيه ، وصف الطبيعة الجامدة والمتحركة

لذا كان وصف العيون واحدا من هذه الموضوعات التي استهوتني للكتابة في هذا الموضوع نظرا لقدرة الشاعر الأندلس في توظيف الفنون البيانية والبديعية والمعاني في شعره مما يكسبه رونقا وأبهة وجمالية واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على :

المقدمة ومحورين المحور التعريفي(البلاغة لغة واصطلاحاً) والمحور التطبيقي (الملامح البلاغية في وصف العيون) وقد كانت دراسة بلاغية تطبيقية على بعض نماذج من شعر وصف العيون لدى الشعراء الاندلسيين ، فضلاً عن الخاتمة التي تضمنت النتائج التي توصل إليها البحث .

المحور التعريفي : ماهية البلاغة وعلاقتها بشعر الوصف :

١- البلاغة لغة واصطلاحاً :

هي لفظ مأخوذ من الفعل(بلغ)يقال : " بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا :وصل وانتهى، ...وبلغت المكان بلوغا :وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى: " فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ"أي :قاربنه .وبلغ النّبت :انتهى"[١] وهكذا نرى أن الدلالة اللغوية تتمحور حول الوصول، أو مقاربة الوصول، والانتهاء إلى الشيء والإفضاء إليه .

كما وجدنا في لسان العرب ان لفظة(بلغ) ، قريب من البلاغة في المعنى الاصطلاحي عند ما يقول" والبلاغة :الفصاحة ...ورجل بليغ وبلغ : حسن الكلام فصيحه يبلغ : بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بلغ بلاغة أي : صار بليغا[٢] "وهكذا نرى أن المعنى الإضافي (حسن الكلام)مرتبط بالمعنى الحقيقي (الوصول والانتهاء) لأن الكلام الحسن يوصّل ما في قلب المتكلم إلى المتلقّي بعبارة لسانه المشرقة الواضحة .

ولاحظنا في مختار الصحاح معنىً قريب من ذلك بقوله : " بلغ " المكان وصل إليه وشارف عليه ومنه قوله تعالى : ﭼ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ أي قاربنه ، و (بلغَ) الغلام أدرك وبابها دخل ... (وبلغ) الرجل صار بليغاً وبابهُ ظرف " [٣] .

وجاء في معجم المصطلحات العربية[٤] ان البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليه . ومن هنا

---

[١]- لسان العرب : فصل الباء الموحد .

[٢]- المصدر نفسه

[٣]- مختار الصحاح : مادة بلغ : ص٤٩-٥٠ .

[٤]- ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص ٤٥ .

ننبثق العلاقة بين البلاغة والوصف ،لأن البلاغة تعني انتقاء اللفظ الجميل المؤثر في نفس المتلقي ، فهي وصف للمعنى والوصول الى منتهاه بقصد التأثير ، ولما كانت العيون اجمل ما في الانسان ، لذا كان هذا الجمال دافعا ومحركا لدى الشعراء للخوض في تفاصيلها الدقيقة من ناحية ألونها وأشكالها وسحرها.

المحور التطبيقي

الملامح البلاغية في وصف العيون

حظيت العيون بعدها اجمل حاسة من حواس الانسان فلحاسة النظر مكانة كبيرة لدى الشعراء وكانت متكأهم الشعري ومعجمهم في اوصاف شتى ، فاهتموا بالعين والوانها السوداء والحوراء والاجفان والطرف والدموع واوصافها المختلفة مما شكلت العيون معجما شعريا لدى الشعراء عبر العصور الأدبية لذا اثرنا الوقوف عنده وكشف محتواه في الشعر الاندلسي .

أ- لون العيون:

وكان للعيون الحور اهتمام كبير لدى شعراء أهل الاندلس ، ولا سيما في شدة بياض العين في شدة سوادها[1]؛ فقد ذكرها ابن عبد ربه في ابيات نسب سحر هذه العيون الى ارض بابل بعدها موطن السحر :

فما السحر ما يعزى الى ارض بابل

ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء[2]

ومعروف ان شعراء العرب جعلوا حور العين صفة من صفات الجمال لدى المرأة وهذه العيون لها قوة تأثير في نفس المحب فتأسره بجمالها وكأنها تورده كأس الموت، ويشتق وصفه من ساحة المعركة فهذه العيون الجميلة تصيب من يقع في شراكها ثم تنسحب وتنظر اليه من بين فتحات النقع ولعله كنى بها عن الحجاب،

[1]- مختار الصحاح (مادة حور).

[2]- ديوان ابن عبد ربه، ص١٦.

فتنظر اليه من خلالها مستخدما التكرار لكلمتي الحور والاعين ليضيف ايقاعا جميلا لكلامه في أكثر من انموذج كقوله :

حور سقتني بكاس الموت اعينها

ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور[١]

وكقوله وهي تنسحب منه وتنظر إليه من بين فتحات النقع كناية منه عن الحجاب:

تزور عند احتماس الطعن اعينها

وهن منفرجات النقع نظارُ

وكقول ابن هاني الاندلسي ، وهو يصور سحر عيون الحبيبة بسحر بابل في فونها وجمالها وسعتها :

المدنفان من البرية كلها

جسمي وطرف بابلي احور[٢]

وكقول الرمادي وهو يصف سقم حاله ولوعته في حب الحبيبة مازجاً بين ألفاظ الغزل وألفاظ الحرب مشبهاً رموشها برماحٍ أوعجته :

وأحور وسنان الجفون كأنما

به سقم في لحظه غير موجع

كأن بعينيه خضوعا ومن رمي

بألحاظه تلك الخواضع يخضع[٣]

فالجميلة ذات العيون الحوراء جفونها ناعسة وسنانة شبهها بمن فيه سقم دون ألم، ثم جاء للحالة نفسها بتشبيه آخر أن بعينيه خضوعا يرمي به المحب فيخضع له. وهنا تكرار لكلمة خضع ثلاث مرات.

وقال عباس بن فرناس:

---

[١]- ديوان ابن عبد ربه ، ص٧٢- ٧٣.

[٢]- ديوان ابن هانئ ، ص٧٤ .

[٣]- شعر الرمادي، ص٨٤.

واحور ما يعفي العيون من العشق

لـه كذب فـي الجد احصى من الصدق

وما العيش الا ميتة الهجر والنوى

باحور ما يبقى هواه ولا يبقي[١]

هنا الجميلة ذات العيون الحوراء تجبر الشاعر على العشق والتعلق بها سواء أكانت صادقة أم كاذبة، وجعل العيش موتا بسبب الهجر والنوى نوى صاحبة العيون الحوراء التي هواها يزيل ويمحو كل شيء، فوظف الجناس في (يبقى ويبقي) وتكرار كلمة احور والطباق في الكذب والصدق، والعيش ، والميتة.

وقال الشاعر يحيى بن هذيل:

واحــور وســنان الجفــون كأنــه

قضيب من الريحان لدن منعمُ[٢]

فجمع بين الحور والوسن في هذه العيون.

ب- السهد في العيون:

أما السهد فيأتي عند الشعراء من الجفاء لان الجفون ترقب الوعد وتفرح بالقرب واللقاء وقد اكثر الشاعر الاندلسي من توظيف ذلك في شعره ومن ذلك قول الشاعر يحيى بن هذيل :

وتجافت جفون عيني سهدا

حين علمن من جفاك الجفاء

وكــأني ممــا تنــاءت جفــوني

[١]- المغرب في حلى المغرب ، ج١/١١٣ .

[٢]- شعر يحيى بن هذيل، ص١١٩ .

لاحظُ وَرَدَ وجنتيك اجتناءَ

وكأن الجفون ترقبُ وعداً

بالتلاقي فلا تروم التقاءَ[١]

من تكرار الكلمات: التجافي (٣ مرات) وباشتقاقات مختلفة، والجفون ٣ مرات والتلاقي والتقاء فالجفون تحب الترقب وليس فعل التلاقي.

ويجعل ابن هاني الاندلسي السهد كحلا في العين بقوله :

ان تبكِ اعيننا للحادثاتِ فقد

كحلننا بعد تغميض بتسهيد[٢]

وقال في ابيات اخرى مستعيرا للسهاد الكحل في شبه الازرقاق في العين بسبب السهاد بأنه لون من الوان الجمال وكأن الفتاة من قد كحلت عينيها:

امسحوا عن ناظري كحل السهاد

وانفضوا عن مضجعي شوك القتاد[٣]

اما الرمادي فجعل عقوبة الحبيب للمحب مستخدما الدمع والتسهيد:

لو تردت بحجة العين ماذا

لم تعاقب بالدمع والتسهيد[٤]

وابن دراج القسطلي قابل بين جفون العين الساهدة والعين الهاجدة في قوله

وبها انمت جفون عين ساهده

وبها ذعرت جفون عين هاجده[٥]

---

[١]- مع شعراء الاندلس والمتنبي، ص٨٣ .

[٢]- ديوان ابن هانئ الاندلسي، ص٩٩ .

[٣]- م.ن ، ص١٠٠ .

[٤]- شعر الرمادي، ص٦٦ .

[٥]- ديوان ابن دراج القسطلي، ص٢٠٧.

وعثمان بن المثنى كان لديه السهاد صفة جمال فمن منع عن عينيه السهاد منع الخلابة والسحر:

مناعة عيني السهاد وانما

مناعة عينيه الخلابة والسحرُ[١]

وفي هذا المعنى قول الشريف الطليق :

عشيت عين امرئ لم تكتحل

للبكا والسهد فيه بعشا[٢]

لكن ابن هانييستخدم السهاد بمعناه الحقيقي الآتي من الحزن والالم:

نحول وحزنُ في فناء ووحدة

وتسهيد عينٍ واصفرارٌ وأدمعُ[٣]

ت- الدموع الجميلة:

كثر الكلام على الدموع وتشبيهها باللؤلؤ وانها تأتي من العينين الجميلتين ذات النظرات الساحرة.

فابن هاني يقول :

وما راعني الا ابن ورقاء هاتفٌ

بعينيه جمرٌ من ضلوعي مشبوبُ

ارى اعينا خزرا إلي وانما

دليلا نفوس الناس بشر وتقطيبُ[٤]

---

[١]- المغرب في حلى المغرب، ج١/١١٣ .

[٢]- مع شعراء الاندلس والمتنبي، ص٨٥ .

[٣]- ديوان ابن هانئ ، ص١٢٠ .

[٤]- المصدر نفسه ، ص٤٨،٦٨ .

ارتاع من نظرة عيني ابن ورقاء(الحمامة) التي تتميز بالنظرة الثاقبة التي تشعل القلوب عندما توجهها الى احدهم، والعين هنا دليل للنفوس بما تكتنزه من فرح او حزن .

وابن دراج القسطلي يجعل آلام النفس المعبَّر عنها بالنار تثيرها العيون:

ورفعت نارا للعيون وقودها

اقتابُ احداجي ووقر حقائبي[١]

وضمن هذا المعنى تأتي ابيات ابن شهيد فالعيون عنده اول من يستقبل الفرح او تدمع وتسكب عند الطرب والتأثر:

وكـــأن النجـــوم لمـــا هـــدتهم

اشرقت للعيون من آدابي[٢]

وقال إن منظر الحمامة فوق الغصون تثير الشجون وتنزل الدموع:

مـا اطربـت فـوق الغصـون حمامـة

الا رأيت دموع عيني تسكبُ[٣]

فالمطر يشبه بالعين الباكية من الغمام في قوله:

وغمـــــام باكرتنـــــا عينـــــه

تترع الافق بدمـــــع صيب

فســــألناه، وقـــــد اعجبنـــــا

حشوه العين بمرأى معجب[٤]

أما ابن عبد ربه فله اسلوباً في وصف العيون بقوله :

محـب طـوى كشـحا علـى الزفـرات

---

[١]- ديوان ابن دراج القسطلي، ص١٤٠

[٢]- ديوان ابن شهيد، ص٨٦

[٣]- المصدر نفسه ، ص٨٨

[٤]- المصدر نفسه ، ص٩٣

وانسانُ عيني خاض في غمراتِ

فيا من بعينيه سقامي وصحتي

ومن في يديه ميتتي وحياتي

فخذي ارضا للدموع ومقلتي

سماء لها تنهل بالعبراتِ[١]

فقوة تأثير العين هي تعبير عما يختزنه القلب، وما الدموع الا تعبير عن هذا المخزون .

وقول ابن هاني جاء في المعنى نفسه ان الجفون (العين) تعكس ما في القلب من الرضى، وهنا شبه هذه العيون بعيون المهى وفيهما شدة التأثير في النفس:

لمن صولجان فوق خدك عابث

ومن عاقدٌ في لحظ طرفك نافثج

مليك اذا مال الرضى بجفونه

رأيت مميتاً بين عينيه باعث

عيون المهى لا سهمكن ملبث

ولا أنا مما خامر القلب لابث[٢]

وابن عبد ربه يجعل العينين ببكائهما حدة في القلب ويطلب الرحمة لأنها كالسهام في كبده وبتوظيف اسلوب الشرط بقوله :

إن تبكِ عيناك لي يامن كلفتُ به

من رحمة فهما سهماك في كبدي[٣]

---

[١]- ديوان ابن عبد ربه، ص٣٢

[٢]- ديوان ابن هانئ ، ص١٣٢ .

[٣]- ديوان ابن عبد ربه،ص٥٢

واحد الشعراء يرى ان الدموع من حرارتها قد رسمت خطوطا على الخدود، بدليل ان العينين من كثرة السهاد صارت مكحولتين، فالمرض هنا صفة جمال:

مدامعٌ قد خددت في الخدود

واعين مكحولة بالهجود[١]

ولكن هذا البكاء من هاتين العينين قد جاء لطلب الغفران والتوبة وخوف عقاب الله حتى كأن هذه الدموع قد اعشبت الارض من كثرتها ومن كثرة السجود :

فهم عكوف في محاريبهم

يبكون من خوف عقاب المجيد

قد كاد ان يعشب من دمعهم

ما قابلت أعينهم في السجود

وقال:

اي حشا لم تذب له أسفا

واي عين عليه لم تجدِ[٢]

وابن شهيد يجعل الدموع المتساقطة من هاتين العينين المحترقتينبالألم كأن النار تأخذ قوتها منه، فالإنسان يطفئ ألمه بالدموع، وهنا طباق يزيد الألم في النفس ولا تخففه:

فدلّ عليه لحظُ خب مخادع

ترى ناره من ماء عينيه تقبس[٣]

وضمن هذا المعنى جاءت العين القريرة كناية عن التمتع بملذات الحياة وهنا ثنائية ضدية بأن من منع نفسه عن الملذات وذاق عذابات الحياة بقوله في موقع آخر :

فكم سخنت بالأمس عينٌ قريرةٌ

---

[١]- المصدر نفسه ، ص٦١

[٢]- ديوان ابن عبد ربه ، ص٦١، ٦٢

[٣]- ديوان ابن شهيد، ص١١٩

وقرتْ عيون دمعها اليوم ساكبُ

فلا تكتحل عيناك فيها بعبرةٍ

على ذاهب منها فانك ذاهبُ[١]

كنى عنه بالعيون التي دمعها ساكب وهنا نصيحة ان لا يتعذب او يندم ويبكي احدهم عن اي شيء في الحياة لان كل شيء الى ذهاب وزوال.

وابن شهيد شبه المطر بالعين الباكية من الغمام:

وغمـــــــام باكرتنـــــا عينـــــهُ

تترعُ الافق بدمع صيِّب

فســــــألناه، وقـــــد اعجبنـــــا

حشوه العين بمرأى معجبِ[٢]

اما ابن هاني فقد استعار للمطر الدمع بقوله :

ألؤلؤ دمعُ هذا الغيث ام نُقَطُ

ما كان أحسنه لو كان يلتقط[٣]

وقد شبهه الدمع باللؤلؤ فجاء بصورة مركبة جميلة .

وابن دراج القسطلي رأى ان البين عن الحبيب جعله نافرا ودموعه منهلة قد اغلق وسك اذانه عن السماع بقوله :

أهلَّ بالبين فانهلت مدامعه

وآنس النفر فاستكت مسامعُه

صبا كتصعيد انفاسي وصوب حياً

تريك عبرة اجفاني مدامعه

---

[١]- ديوان ابن عبد ربه، ص٢٢

[٢]- ديوان ابن شهيد، ص٩٣

[٣]- ديوان ابن هانئ ، ص٣٩

والطرف مرآة عيني استدل به

على الصباح اذا ما خيف ساطعه[١]

فهو صب بالمحب بدليل تأثره مشبها ذلك بتصعيد انفاسه، وهذا المحب دموعه تعكس مدامع الحبيب لأنها مرآة عينه ويستدل بها على ظهور الصباح اذا لم يعرف سطوعه لان الحبيب هو الصباح الساطع وقد استخدم الفعل (أهلَّ) للبين لقوة تأثيره في نفس المحب .

ويستمر الشعراء بذكر الدموع واثرها في النفس وفهم ابن دراج القسطلي بقوله :

عمري لقد اعذر الدمع الذي وكفا

لو اشتفى من تباريح الاسى وشفى

وما غناء دموع العين عن كبد

حرى ونضو يقاسي الليل ملتهفا[٢]

فلا يستغني الشاعر عن الدموع فهي مرآة المحب والملتهف الذي يقاسي طول الليل بالسهر فالدمع يشخصه ويعذره لأنه ينهل بكثرة وربما لن يشفي من الاسى مستخدما الجناس في اشتفى وشفى .

وكان بعض الشعراء يجعل للعيون السبق في البكاء وفهم ابن هاني بقوله :

يوم راهنت في البكاء عيوناً

فتقدمت في عنان السباق[٣]

وابن دراج القسطلي يرى الخداع في دموع العين :

لا تخدعي بدموع عينك في الورى

قلبا يعز عليه ان تتذللي[٤]

---

[١]- ديوان ابن دراج، ص١١٣-١١٥

[٢]- ديوان ابن دراج القسطلي، ص٣٨١

[٣]- ديوان ابن هانئ ، ص١٢٥ .

[٤]- شعر ابن دراج، ص٣٥٣.

وهناك من يرى ان كثرة البكاء لكثرة الالم وعدم الصبر وهو ما وجدناه في شعر ابن هاني بقوله :

ولم ار مثلي مالهُ من تجلد

ولا كجفوني مالهن جمودُ[١]

فالدعاء والالم انعكس على الجفون التي تسفح باستمرار مؤكدا ذلك بأسلوب الجزم.

وللشاعر الرمادي نظرة مشابهة إذ يقول :

ابكيـــت عرقـــاً دمـــه احمـــر

كدمع من يبكي من الوجدِ

قامـت ذراعٌ منـك بـالعين والـدمع

وقام الطستُ بالخد[٢]

وشبه العرق الاحمر بالدمع الجاري من عين من يبكي من الوجد

فكان ذنب العين وجفوناً بتعلقها بالمحبوب كقول الرمادي في موضع آخر :

هذه العينُ ذنبها ما ذكرنا

اي ذنب لقلبي المعمود[٣]

ويستفهم عن هذا الذنب لقلبه المعمود بالدموع فالعين صدى للقلب .

وابن عبد ربه رسم صورة لسيلان الدموع من الجفون :

تسيل مع الدموع جفون عيني

كما سال الفؤاد مع الزفير[٤]

ولشدة الجفون وتأثيرها فشبهها بسيلان الفؤاد مع الزفير فكأنها تخرج القلب من النفس .

---

[١]- ديوان ابن هانئ ، ص١٧٠ .

[٢]- شعر الرمادي، ص٦٤-٦٥

[٣]- المصدر نفسه ، ص٦٦

[٤]- ديوان ابن عبد ربه، ص٧٨

وقد يوظف ابن شهيد الحذف عند التشبيه في رسم صورة العيون كقوله :

اذا ذكروني والثرى فوق اعظمي

بكوا بعيون كالسحاب المواطر[١]

ففي الصورة البكاء كان بعيون دموعها مدرارة كالسحاب المواطر لعلها السحب المواطر

وفي موضع آخر يتناول ابن شهيد ذكر الدموع بمعناها الحقيقي :

ارى حمرا فوق الصواهل جمة

فابكي بعيني ذل تلك الصواهل[٢]

ومثله ابن هاني في تناول الدموع بمعناها الحقيقي :

فيملأ سمعا من رواعد رجف

ويملأ عينا من بوارق ضُرمِ[٣]

فالعين الحقيقية تملأ نظرها من البرق المضطرم في ان العين تمتلئ بالدموع وتلمع بها كالبرق بعد ان تملأ السمع من الرعد المرتجف وهذا الرعد هو الالم الخاطف الذي يعتمل في النفس ولابن شهيد تشبيه للدموع بالآلي التوائم لأنها نازله من العينين معا بقوله :

ارى اعينا ترنو إليّ كأنما

تساور منها جانبيَّ اراقمُ

امرنا بإمساك الدموع جفوننا

ليشجى بما تطوى عذول ولائمُ

فظلت دموع العين حيرى كأنها

---

[١]- ابن شهيد، ص١١٣

[٢]- ديوان ابن شهيد، ص١٤٤.

[٣]- ديوان ابن هانئ ، ص١٥٠ .

خلال مآقينا لآلٍ قوائم

وراق الهوى منا عيون كريمة

تبسمن حتى ما تروق المباسم[١]

اما الرمادي عول على التشبيه في رسم صور العيون وتأثيرها بقوله :

كأن الدموع ماء ورد بأوجه

يُخيَّلن من حُرِّ اللجين مداهنا

كأن قد خشين النكث في الحب بعدهم

علينا فأعطينا القلوب رهائنا[٢]

فقد شبه الدموع بماء الورد اي بالطل لصفائه وشبه الاوجه ببحر اللجين .

وابن دراج كانت لديه الدموع بصورة مختلفة بقوله :

اذا غيض ماء البحر منها مددنه

بدمع عيون يمتريهن اشجان

فلا مؤنس الا شهيق وزفرة

ولا مسعد الا دموع واجفان[٣]

غزيرة بحيث اذا قل ماء البحر زدنه بدمع العيون المتألمة من الفراق وما يؤنسها الشهيق والزفير، وما يسعدها الدموع والاجفان اي العيون التي تسكب الدموع فيرتاح القلب .

وقوله أيضاً :

بدمع عين ابى ما في الضمير له

حتى يصيره دمعا بلا عين[٤]

---

[١]- ديوان ابن شهيد، ص١٥٣-١٥٤

[٢]- شعر الرمادي، ص١٢٥

[٣]- ديوان ابن دراج، ص٧٤، ٧٥.

[٤]- المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

ولم تتوقف اوصاف الشعراء للعيون وتوظيفها عند المعاني المذكورة سابقا، فهناك اوصاف مختلفة ومنوعة، كان لكل شاعر ذوقه واسلوبه في اشتقاق ما يرغبونه من معان تعبر عما يختلج في قلوبهم من لواعج الحب والالم، فهذا الشاعر محمد بن يحيى القلفاط يشبه الزهر البارز بالعيون الجواحظ:

زهـــر لهـــا مقـــل جـــواحظ تـــارة

ترنو وتارات لها اغضاء[١]

كما تصبح العيون عند ابن عبد ربه رسولاً للمحاسن الى القلوب:

عليـــه مـــن محاســـنه شـــهود

تؤديها العيون الى القلوب[٢]

اما يحيى بن هذيل له وصف آخر بقوله :

والروض قد الف الندى فكانه

عين توقف دمعها لرقيب[٣]

إذ يشبه الندى بعيين توقف للرقيب دمعها.

أما محمد بن يحيى القلفاط، فيوظف الصورة البلاغية في بيان جمالية العيون بقوله:

غزالية العينين وردية الخد

كثيبية الردفين غصنية القد

لها ناظر يعدو على القلب لحظة

وخد على لحظ النواظر يستعدي

تراني عيون الناظرين اذا رنت

---

[١]- جدوة المقتبس، ص٣١٨ .

[٢]- ديوان ابن عبد ربه، ص٢٥.

[٣]- شعر يحيى بن هذيل، ص٧٤ .

بعين لها تزني وتعفى عن الحد[١]

إذ يشبه الشاعر السناط العينين بعيون الغزال التي نظرتها تدخل الى القلب، وعيون الناظرين تخطف حب صاحبة العينين الغزالية، مستخدما المقابلة في البيت الاول والتكرار لكلمة ناظر– النواظر، والجناس في لحظة ولحظ، والجناس في الثالث في تراني– رنت وهو جناس الاشتقاق .

أما عبيد الله بن يحيى بن ادريس فيستعير للشمس عينا منها يخرج كل حنين مستكين من كثرة الحب والوجد بقوله :

ينازل عين الشمس حتى ترى لها

اليه حنين المستكين من الوجدِ

فان مجال العين في رونق الضحى

عليه مجال اللحظ في زهر الخد[٢]

لأن جمال الضحى في اشراقة الشمس فهي كالعين الجميلة مثل الخد المزهر بجمال اللحظ(العين) فالعين هنا فيها استخدام جديد بتشبيهها بالشمس زمن الضحى .

اما يحيى بن هذيل يشبه الندى بعين توقف للرقيب دمعها:

اعينـــا امـــرأ نزحـــت عينـــهُ

ولا تعجبا من جفون جمادِ[٣]

والشاعر ابن شهيد له تشبيه آخر للعيون بعيني الرشأ في قوله :

يمسح النعسة من عيني رشا

صائد في كل يوم أسدا[٤]

---

[١]– جذوة المقتبس، ص١٧٩ .

[٢]– التشبيهات،ص٤٤ .

[٣]– ديوان ابن شهيد، ص٩٧ .

[٤]– المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

فهو يشبه عيون المحبوبة في نعاسها ورقتها ومع هذا فهي مؤثرة وتصيد كل يوم اسدا بقوة نظرتها التي توقع القوي المكنى عنه بالأسد .

اما ابن عبد ربه لا يرى احدا يسلم من تأثير العيون بقوله :

وصحائح مرضى العيون شحائح

بيض الوجوه نواعم الابشار[١]

فالذي يسلم قليل والذي يمتلك هذه العيون الجميلة هو من يمتلك الوجه الابيض والبشرة الناعمة فتكتمل صفات الجمال .

اما الرمادي فكانت عيناه(المحبة) هي من تنظر جمال المحبوب وتتأثر به بقوله :

وفاتن الحسن قتال الهوى نظرت

عيني اليه فكان الموت والنظر

ثم انتصرت بعيني وهي قاتلتيج

ماذا تريدُ بقتلي حين تنتصر[٢]

فانتصر المحبوب من خلال نظرة محبه اليه، فاستخدم التكرار للكلمات (قاتلي) بقتلي- قتال) وكلمة (عيني بعيني) (انتصرت- تنتصر) (نظرت- النظر) بيتان اكثر فيهما الرمادي من التكرار .

ويحدد الرمادي العلاقة الوجدانية ما بين العيون والخمرة بقوله :

تأملت عينيه فخامرني السكرُ

ولا شك في ان العيون هي الخمرُ[٣]

فعينا المحب ومن ينظر اليهما يتأثر بهما في سحر وعذوبة ونشوة وكأنه سكران بالخمرة .

والشاعر القسطلي جعل الدموع سلاحا بيد المظلوم بقوله :

---

[١]- شعر ابن عبد ربه، ص٨٢.

[٢]- شعر الرمادي، ص٦٩-٧١.

[٣]- المصدر نفسه ، ص٧١ .

ولا يدٌ غير ايدي الظلم تعرفنا

ولا بغير دموع العين ننتصرُ[١]

ينتصر فيها وينفذ ما يريد، فوظف اسلوب النفي بـ لا العاملة عمل ليس النافية مع تكرار النفي وتكرار غير الاستثنائية .

وتبرز قصيدة للشاعر الشريف الطليق خالصة في وصف العيون ومنها :

وحوت عيناه خمرا لم يرح صاحيا من سكره صاحي الحشا
فكأن الصبح في وجنته قد سقاه طرفه حتى انتشى
عشيت عين امرئ لم تكتحل للبكا والسهد فيه بعشا
لم يزل يوشى بنا حتى غدا سحر عينيه بنا فيمن وشى
اين لي ملجأ اذا ما طرفه بجيوش السحر نحوي جيشا
خمشت الحاظ عيني خده مثلما باللحظ قلبي خمشا
نقشت عيني عليه اسطراً اعربت عما بقلبي نقشا[٢]

بأن نظرة هذه الفتاة الجميلة تسكر وتستمر في عدم اراحتها حتى الصاحي من سكره ووجهها شبهه بالصبح وما هذا الا ان طرفه قد سقاه الجمال حتى انتشى اي حتى صار نضرا، وهناك عين اخرى يجب ان تستمر في السهد والبكاء حتى تزرق جفونها كنى عن ذلك بالاكتحال، فأين المفر من سحر عينيه حين ركز نظرته الى المحب فشبه ذلك بالجيوش المجيشة وهنا كان للمحب التأثير نفسه على الحبيب فحدث فعل معاكس، فكما اثر الحبيب بنظرته كذلك في قلبه المحب اثر في الحبيب فخمش خده بألحاظ عينيه فتركت عليه علامة كالاسطر لتعرب عما فعل في قلبه، هذه القصيدة جاءت خالصة في وصف العيون واثر نظرة الحبيب في المحب، فنرى فيها السرد والجناس في عشيت... بعشا ويوشي ووشى، بجيوش وجيّشا، والتكرار

[١]- ديوان ابن دراج،ص٤٥٠ .

[٢]- مع شعراء الاندلس والمتنبي، ص٨٥-٨٦ .

فـي خمشـت، خمشـا، ونقشـت ونقشـا، والاسـتفهام فـي ايـن لـي ملجـأ مـع التشـبيه والاستعارات الكثيرة.

وهذا الشاعر عبادة بن ماء السماء يشبه الفتاة بحذف المشبه والاداة بالغزال الاحمر بقوله :

والشادنُ الاحوى الذي في طرفه

سحر يصاد بسهمه القناص

امنن جفونك من مغبة ما جنت

فينا فليس على الملاح قصاص[١]

وهذه الصفات الجمالية قالتها العرب منذ زمن واستمرت، كذلك في طرفه السحر الذي يمكن من خلاله ايقاع المحبين في شباك حبه، فالقناص والمقصود به المحب وهو الذي يقتنص الفريسة هو الذي يصاد بسحر هاتين العينين .

اما الرمادي فكانت له وقفة مع الآلام بقوله : فالألم والآهات كانت من غربة بين عينيه واغتماضها وعدم الراحة والنوم بقوله :

أتغرُبٌ بين عيني واغتماضيئ

بواشٍ من لواحظك المراضِ[٢]

وكان الحبيب لدى ابن عبد ربه هو المميز بجماله في نواح عدة بقوله :

يا ساحرا طرفُهُ اذ يلحظ وفاتنا لفظهُ اذ يلفظ

يا غصنا ينثني من لينه وجهك من كل عين يحفظ

أيقظ طرفي اذ بدا من نعسه من طرفه ناعسُ مستيقظ[٣]

فعيونه ساحرة بجمالها ونظرتها كذلك لفظه وقامته ووجهه المحفوظ من كل عين، وطابق بين الطرف الناعس والمستيقظ في الوقت نفسه .

---

[١]- الذخيرة ٢/١/٧ .

[٢]- شعر الرمادي، ص٨٠ .

[٣]- ديوان ابن عبد ربه، ص١٠٢ .

وابن شخيص لديه أبيات في العيون في صور فنية رائعة كقوله :

امانيهم ترنو اليه كما رنت

عيون الغواني من فتوق البراقع[١]

استعار للاماني النظر مشبها النظرة بعيون الغواني اللواتي ينظرن من فتحات البراقع فكرر كلمة رنا ورنت .

فانظر الى حسن الربيع وقد جلت

عن ثوب نور للربيع مُجزعِ

او اعين الاحباب حين تراسلت

باللحظ تحت تخوف وتوقع[٢]

وابن شهيد يعطي للعين مهمة الرسائل في حالة معينة هي التخوف والتوقع، وهذا نوع من انواع البيان الخمسة هو البيان بالإشارة الذي ذكره الجاحظ في باب البيان.

ولدى ابن عبد ربه جناس جميل في وصف العيون بقوله :

يا سقيم الجفون من غير سقم

بين عينيك مصرع العشاق[٣]

ان سقيم الجفون صاحب العين المريضة هي صفة جمالية مميزة رغم من ان السقم مرض ولكنه هنا من دون علة.

وابن دراج القسطلي صورة بلاغية جميلة للعيون بقوله :

فيه عيونُ بهار قد احطن به

نواظرا بجفون العاشق الارق[٤]

---

[١]- شعر ابن شخيص، ص٦٢ .

[٢]- ديوان ابن شهيد، ص١٢٥ .

[٣]- ديوان ابن عبد ربه، ص١٢٣ .

[٤]- ديوان القسطلي، ص٤٣٥ .

فهو يشبه العيون بزهرة البهار مستخدما الاستعارة فالبهار دائما بشكله واوراقه البيض ووسطه الاصفر يشبه بالعيون .

سأمنع قلبي ان يحن اليك

وانهي دموعي ان تفيض عليك

ولو عن لي ظبي الفلا لاجتنبته

لتمثال عينيك وسالفتيكِ[١]

وفي ابيات اخرى يحاول ابن دراج القسطلي السيطرة على مشاعره بان تمنع قلبه الحنين الى الحبيب وسيظل وفيا لهذه الجميلة مهما رأى من جميلات .

وابن هاني يكرر كلمة عين باشتقاقات متعددة بقوله :

وكنا اذا ما اعيُنُ العين رقتنا

ادرن عيوناً حشوهن المهالك

كأن الشقيق الغض يكحل اعينا

ويسفك في لباته الدم سافكُ[٢]

ولقوة تأثير النظرة في المحب شبه الشاعر العين بشقيق النعمان مع انه احمر اللون.

اما ابن فرج الجياني فقد عول على الاستعارة في وصف العيون بقوله :

فلله عينا من رآه وقد قضى

فأغمض منه الطرف وهو كليلُ

وكالشمس راقت بالضحى اعين الورى

فأعجلها بعد الغروب اصيلُ[٣]

---

[١]- ديوان ابن دراج، ص٢٩٤ .

[٢]- ديوان ابن هانئ ، ص١٥٥ .

[٣]- مجلة آداب المستنصرية، ص٢٢٧ .

فقد استعار للورى كلمة اعين فعندما يروق الانسان تشرق عينه، وهنا راقت الشمس وقت الضحى الذي هو اجمل وقت في النهار، فراق الورى ونسب اليه العين الرائقة بواسطته .

وعند الرمادي نجد ان العين صاحية وترى طيف الحبيب بقوله :

نعم، لم تنم عيني فيطرف طبقه

زوال منامي علةٌ لزواله[١]

ولدى ابن شهيد صورة بلاغية لونية للعيون بقوله :

فقلنا لساقيها ادرها سلافةً

شمولاً ومن عينيك صرف شمولُ[٢]

فكان السكر بنظرة العين فشبه النظرة بالخمرة الصافية .

وفي هذا المعنى جاء بيت ابن عبد ربه بقوله:

وشربت من خمر العيون تعللاج

فاذا انتشت اجود جود المرزم[٣]

ويصف الشاعر يحيى الغزال يصف من لا يراه بعينه يراه بقلبه بقوله :

أهو هو أم خلقٌ شبيهٌ بما رأى

فهل للقلوب النائمات عيونُ

وكيف يرى؟ والعين قد مات نورها

وواقعه شبه الرقاد سكون[٤]

ان الرقاد سكنه فأعطى لكل شيء عينا حتى للقلوب الساكنة .

اما ابن دراج القسطلي فقد استعار للرضا عينا مجازية بقوله :

---

[١]- شعر الرمادي، ص١٠٨ .

[٢]- ديوان ابن شهيد،ص١٤١ .

[٣]- ديوان ابن عبد ربه، ص١٥٥ .

[٤]- ديوان يحيى بن حكم الغزال، ص١١٠ .

لدى ملك احدى لواحظ طرفه

بعين الرضا حسب المنى وكفاها

وما هي الا الشمس حلت بمفرقي

فاعشى عيون الغانيات سناها

وعين الصبا عار المشيب سوادها

فعن اي عين بعد تلك اراها

دعوت لها سقيا الحيا ودعا الهوى

وبرح الهوى دمعي لها فسقاها

وقد استقيد الحور فيها بلمة

تباري نفوس العين نحو قداها[1]

وعندما حل المشيب بمفرقه كله سنا فاعشى عيون الغانيات، واستعار للصبا عينا حين غطى على المشيب بسواده، وهنا كثر التكرار في الكلمات دعا وسقى والهوى .

اما ابن عبد ربه فقد وظف معنى مجازيا في سقيا العين بقوله :

ناول الكأس واستمال يلحظ

فسقتني عيناه قبل يديه[2]

وهنا تراسل حواس او ابدال علم كل حاسة بأخرى، فالسقيا باليد وهنا بالعين اي اعطاء النظرة التي ينتظرها المحب وتملأ روحه.

واخيراً كان لبيت الرمادي في توظيف التكرار جمالية خاصة بقوله :

أعفيت رقة وجنتيه من اذى

عيني وما أُعفيت من عينيه[3]

فالجمال تكلل بتكرارهاعفيت وعينيه وان العين اصابت المحب بنظرة آذته .

---

[1]- ديوان ابن دراج، ص٨-١٢.

[2]- ديوان ابن عبد ربه، ص١٧٤.

[3]- شعر الرمادي، ص١٣٤.

الخاتـــــــمة

ويبقى القول ان لذكر العيون في الشعر العربي بحر واسع ومهما حاولنا خوض غماره نجده قد زخر بمعانيه اكثرواكثر، اذ ان وصف العيون كانت اداة الشاعر الاندلسي الشعرية كالطبيعة، فكل شيء لديه عين، يستعير لها اوصافا ويكني ويلغز بها، فكانت جولتنا هذه عند اهم الاوصاف الخاصة بالعين، او اعارتها استعارات وتشبيهات مختلفة.

نرجو ان نكون قد وفقنا في دراستنا لأوصاف العين في الشعر بألوانها وسهدها ودموعها مع وقفة طويلة عند معان مختلفة للعين كان للشعراء ذكر كثير لها لأنها اداتهم الطيعة ووسيلتهم في كل قول او غرض من غزل ومدح وشكوى وغيرها.

والله الموفق

المصادر والمراجع

١. احمد ابن فرج، د. نزهة جعفر حسن، مجلة آداب المستنصرية، العدد١٦، ص١٩٨٨م .
٢. تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الاندلسي المغربي، صصححهذا الديوان وهذبه وشرحه الدكتور زاهد علي، القاهرة، ١٩٣٢م .
٣. التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، ابو عبدالله محمد بن الحسن الكتاني الطيب(ت،٤٢٠هـ) تحقيق احسان عباس، دار الشروق- بيروت، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م .
٤. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، محمد بن فتوح الازدي الحميدي، الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة، ١٩٦٦م .
٥. الحلة السيراء، لابن الابار، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م .
٦. ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وعلق عليه، د. محمود علي مكي، ط٢، المكتب الاسلامي، مدريد، ١٩٦١م .
٧. ديوان ابن عبد ربه، جمعه وحققه وشرحه، د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٦.
٨. ديوان بن شهيد الاندلسي، جمعه وحققه يعقوب زكي، راجعه د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص٨٦، ص٨٨.
٩. ديوان يحيى بن حكم الغزال، حققه وشرحه وقدم له، د. محمد رضوان الداية دار قتيبة/ ط١/ ١٩٨٢م .
١٠. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تأليف: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط١ .
١١. شعر ابن شخيص الاندلسي، جمعه وقدم له، احمد عبد القادر صلاحية، دار ابن القيم للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٢م .

١٢. شعر الرمادي يوسف بن هارون(شاعر الاندلس في القرن الرابع الهجري) جمعه وقدم له، ماهر زهير جرار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م .
١٣. شعر يحيى بن هذيل القرطبي، د. محمد علي الشوابكة، منشورات جامعة مؤته الاردن، ط١، ١٩٩٦م .
١٤.عباس بن فرناس(شاعراً) د.صلاح جرار، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، المكتبة الاردنية الهاشمية- عمان، العدد٣٨/١٩٩٠م .
١٥.عبدالله بن الشمر، شاعر امير الاندلس، د. حياة قارة، مجلة الذخائر ، العدد الخامس، السنة الثانية ٢٠٠١م .
١٦. مع شعراء الاندلس والمتنبي، اميليو غرسية غومس، ترجمة ،د. الطاهر احمد مكي، دار المعارف- القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م .
١٧. مختار الصحاح ، للشيخ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي (ت٦٦٠هـ) ، اعداد وتقديم محمد حلاق ، تصحيح نجوى أنيس ضوء ، ط١ ، دار احياء التراث ، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٩٩٩م .
١٨.المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ص٢١، ١٩٦٤م، ج٢ .
١٩.نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د.احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨.